

الفصل الخامس

الدين والعلم

أؤكد نظريتي الكريمة أن هذا الفصل شديد الصدق والحساسية معنا ، ولقد فكرت كثيراً ألا أوردته ، لكن ذلك لا يكون إلا على حساب الصدق ، وخوفاً من الحساسية . والحساسية هنا لا تخصني ، وإن كانت تتعلق بطرق الطرح الثقافي للموضوع . أما بالنسبة لي ، فقد شاء الله ألا تتذبذب خياراتي منذ بداية الوعي ، وأطمع في كبره وأدعوه ألا تتذبذب حتى نهاية العمر . لقد أمنت بالإسلام ، وأمنت بالعلم كمكون عضوي من إيماني بالإسلام ، لكن الطرح الثقافي ، مهما كان الانسجام الداخلي ، ليس بهذه البساطة كما ذكرت . إنني أورد هنا مقالات ثلاث ، كتب على مدى يزيد على العشرة سنوات . أولها كانت إحتفالاً بالقرن الهجري الجديد ، وإن كانت قد نشرت بعد ذلك بسنوات عديدة (١٩٨٥) ، والثانية كتبت منذ عامين ، بعد سنوات من الإهتمام بالفكر المستقبل ، والثالثة تكتب في الساعات الأخيرة من عام ١٩٩٢ ، مواكبة لكتابة هذه المقدمة ، في محاولة للنقد الذاتي ، لما سبق أن طرحته .

١- القرآن والعلم : قضية تستحق الحسم

٢- الإسلام والمستقبلية

٣- فصل المقال في التجافى والوصال ؟

١ - القرآن والعلم :

قضية تستحق الحسم

منذ عدة سنوات شاء الله لنا ان نشهد مطلع القرن الخامس عشر ، وان يشهده علينا . في ذلك الوقت سألت نفسي عما أتمنى أن يتحقق للإسلام والمسلمين في القرن الجديد ، وتدافعت إلى ذهني أفكار كثيرة أملتھا الأوضاع المتردية في العالم الإسلامي .

ورغم شراسة الأزمات الموجودة في الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، الا أنني كنت أكرر لنفسی دائماً أن أزمة العقيدة هي بيت الداء . لقد نجح أعداء الإسلام في فصله عن العصر ، وكثيراً ما جعلوا ذلك يتم بأيدي أبنائه ، متصورين أنهم إنما يفعلون ذلك حرصاً عليه .

هل هناك ما هو أكثر مدعاة للأسف والشعور بالهوان ؟ ألم تر مسلماً يخاطب السوبرمان الأوروبي أو الأمريكي ، محاولاً تبرير ما جعلوه يظن أنه عورات في دينه ؟ فعند من لا يفهم الإسلام ، الطلاق قسوة وهمجية . . . أما الزنا والسذوذ فحرية شخصية ، وتعدد الزوجات شهوانية ظالمة . . أما بيوت الدعارة فتجارة عالمية مربحة لا تخلو من الفن والمتعة ، والاقتصاد غير الربوي فكرة غير عملية . . أما تراكم الديون العالمية وفوائدها فسياسة دولية راقية ،

والحدود تخلف مرفوض . . . أما انفلات العنف والجريمة فآثار جانبية للتقدم
الرائع ، وغزوات الدفاع عن العقيدة قهر وانتشار بالسيف . . . أما الحملات
الاستعمارية فرسالة حضارة . والخلاصة عندهم أن الإسلام قد حمل في طياته
بذور تأخر المسلمين ، التي ظهرت آثارها في عالم اليوم . ومن أوضح آثار
التأخر وأخطرها انفصال المسلمين عن تيار التقدم في مجالات العلم
والتكنولوجيا ، واقتصار علاقتهم بهذا التيار على الاستيراد والتبعية .

أيمكن ان يكون الإسلام مسئولاً عن هذا التأخر ؟

تعالوا نحتكم إلى كتاب الله لنرى موقف القرآن من العلم والتقدم
العلمي . . . بل ومن آخر منجزات هذا التقدم . فالقضية التي سنتعرض لها
هنا هي علاقة القرآن الكريم ، كتاب الله المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل
أبداً . . . بالعلم الذي مكننا به الله ان ننظر في الآفاق وفي أنفسنا ، ولكنه تحول
للأسف عند البعض إلى معبود يحمدهونه ويشنون على تقدمه في صلواتهم التي
تسبق اللقاءهم للقنابل الذرية أو اقرارهم لخطط حرب الكواكب ، باعتبارهم
من ثمار هذا التقدم .

في السنوات الأخيرة ، نوقشت قضية القرآن والعلم من زوايا مختلفة .
وانعقدت المؤتمرات لهذا الغرض ، ومن بينها ما يخص الاعجاز الطبى للقرآن ،
لذلك ظننت ان الأمر قد حسم لصالح الاجتهاد الجاد ، وصرفت النظر عن
الكتابة في هذا الموضوع الهام ، مكتفياً بتتبع نتائج هذه المؤتمرات* ، لكننا

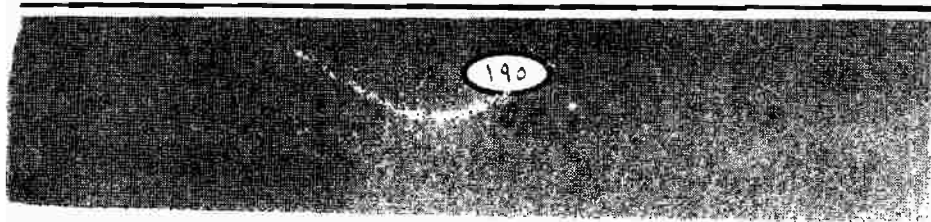
* لا بد وأن أعترف بما كان لدى من تحفظات قديمة على بعض نتائج وتوصيات مثل هذه المؤتمرات ،
وعلى مسارها اللاحق . وهذا ما قد نتطرق إليه في المقال الأخير .

نجد من يشكك في هذا الاتجاه برمته ، ويتهمه بلوى الحقائق وعدم الجدية
واضاعة الوقت . لذلك فأننى أكتب مقالى هذا ، ليس دفاعاً عن القائمين
بهذا العمل الكبير ، لأنهم قادرون بحمد الله على الدفاع عن أنفسهم ، ولأن
الله يدافع عن الذين آمنوا .

ولست أكتب أيضاً خوفاً على هذا الاتجاه النافع ، لأن الله قد قرر ان ما ينفع
الناس سيبقى في الأرض . انما أكتب مقالى لاعرض لمن لم يتابع هذا الموضوع من
قبل وبالذات الشباب الذى يفتح وعيه على كل قضايا عصره ، صورة مختصرة
له ، ولأن الدفاع عما يراه المرء حقاً شرف لا يجب أن ينكص عن نيله أحد ،
وواجب لا يتخلى عنه مسلم أبداً . ولا بد من أن نقرر هنا أن الأمر لا يخلو من
العديد من المشكلات والعقبات ، لكنها تتضاءل أمام الفائدة المرجوة من ربط
المسلم بالعصر الذى يعيش فيه . . عصر العلم . وان كنت قد أطلت عامداً
في المقدمة ، الا أننى سأحاول أن ألزم بما يمكن أن يسمى بعلمية العرض ، بما
تطلبه من اختصار ووضوح وحيادية ، وذلك بعد أن أفرغت في هذه
المقدمة « شحنة » الانفعال التى قد تصبغ معالجة بعضنا للمواضيع ذات
العلاقة بالدين ، مع المحافظة على شحنة الحماسة اللازمة عند التصدى لهذا
الموضوع الهام .

● أبعاد المشكلة :

ينقسم الرافضون لمعالجة الآيات ذات الدلالة العلمية في القرآن على ضوء
المعارف الحديثة إلى ثلاث فئات . الفئة الأولى ترفض الدين ، وتستعلى بالعلم
المبنى على التجربة ، باعتباره الطريق الوحيد إلى الحقيقة ، أما الفئة الثانية ،



فهى أقل غلوأ ، حيث تكتفى بتقرير الفصل الكامل بين الدين كعلاقة شخصية بين الانسان وخالقه ، والعلم كواحد من أهم أوجه النشاط البشرى . ولست أدرى مدى دراية أفراد هذه الفئة بعواقب هذا المنطلق ، لكنى أؤكد لهم أن تربية الأجيال الجديدة على أساسه قد تؤدى فى القريب العاجل إلى الانضمام إلى الفئة الأولى ، لأن ما يفعلونه هو جزء من مخطط عزل الدين عن الحياة ، باعتباره مرحلة فى تاريخ البشرية ، أدت دورها وانتهت ، وصارت مصدراً للفنون والأقاصيص . فهل هذا ما يريدون حقاً ؟ الواقع أن الحوار مع هاتين الفئتين يخرج بنا عن أهداف المقال الخالى ، ولعل لنا عودة إليه فى وقت لاحق ان شاء الله . كما أن الساحة تمتلئ بكثير من الاجتهادات الرائعة فى مجاله ، لمن يريد الاستزادة . ما يهمنى هنا هو الفئة الثالثة التى تترئس فى الموافقة حباً وإجلالاً لكلام الله . هذه الفئة الفاضلة تعرض أبعاد المشكلة فى مجموعة من الأسئلة المحددة :

- ١ - الى أى مدى يمكن النظر فى النصوص القرآنية ومحاولة تفسيرها على ضوء ما توصل إليه العلم من اكتشافات وحقائق ؟
- ٢ - كيف يمكن باستخدام معطيات العلم القاصرة والمتغيرة ، وقدرات التعبير البشرى المحدودة ، تفسير لغة القرآن بشموليتها وأعجازها وظواهرها وباطنها ؟
- ٣ - ما أهمية ذلك لحاضر المسلمين ومستقبلهم ؟ وماذا خسروا من جراء الرفض والتسويق ؟

٤ - إذا ما اتفقنا على أهمية هذا العمل ، فما هو المنهاج السليم الذى لا ينحرف بنا عن جادة السبيل ؟

إذا كانت هذه الأسئلة قد نجحت فى عرض أبعاد المشكلة ، فلا بد وأنها نكون قد لاحظنا انها باختصار شديد مشكلة تفسير ، وأن الهدف منها هو ربط الدين بحياة الانسان ومستقبله ، وككل مشكلة هامة ، فانها تستحق كل جهد فى سبيل حلها ، إذا ما استيقنا فعلاً من ضرورة الحل . لذلك ، أفضل أن نناقش أولاً هذه الضرورة .

• ضرورة الحل :

هل يحق لنا إذا ما سلمنا بصعوبة أو حساسية مشكلة ما أن نتركها بلا حل ؟ هذا يتوقف بالطبع على مدى أهميتها بالنسبة لنا . ومشكلة القرآن والعلم هى احدى مكونات قضية أعم وأشمل ، هى قضية الدين والحياة . وهى على ذلك ليست من المشكلات القابلة للاهمال أو الارجاء ، فنحن نعيش فى زمن يوصف بما تم فيه من منجزات علمية (عصر الذرة أو الفضاء أو الطاقة أو المعلوماتية أو الهندسية الوراثية ... إلخ) . ويمكننا مع توخى وجهة النظر الإسلامية البحتة ، أن نلخص ضرورات التعرض لهذه المشكلة فيما يلى من نقاط :

١ - يرى المتصفح لكتاب الله الكريم ان الآيات الداعية إلى التدبر فى مخلوقاته تزيد عدداً عن آيات العبادات والمعاملات ، فلماذا تفرد الدراسات الفقهية المتعمقة دون اعتراض أو رفض لبعض الكتاب ، وتحجر أو يقلل من جدواها بالنسبة للبعض الآخر ؟

٢- العلم في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ يعد دليل الايمان والداعى إليه ، بل ان العلم والايمان يأتیان مقترنين متعاطفين ، ولم يأتيا متضادين أبداً وأزید من ذلك نجد أن كلمة علم ومشتقاتها قد ذكرت في القرآن مئات المرات أما عن المكانة الرفیعة للعلماء ، بل وطالبي العلم ، فحدث ولا حرج . إذا كان هذا هو الحال بالنسبة لمكانة العلم والعلماء في الرسالة المحمدية ، ألا يصح أن نحتمى بالآیات المتعلقة بالعلوم المادية ، ونعرض عليها معارفنا ونظرياتنا في عالم اليوم ؟ يجب أن نفعل ذلك دون وجل ، فالعلم الحق كان وسيكون دائماً داعية للايمان . . . وهو داعية تشتد الحاجة إليه في هذا الزمان .

٣- يواجه الايمان اليوم حرباً ضروساً من قوى الاتحاد . ويجب أن نعترف بان سلاح العلم يستخدم في هذه الحرب بشراسة وكفاءة . وهنا نسأل ، كيف يرتاح الرافضون والمتشككون في جدوى التعمق في موضوع القرآن والعلم لموقفهم بينما يشهر أعداء الإسلام في وجهه نفس السلاح ؟ كيف يطاوعهم حسهم الدينى على اهمال هذا العمل ، بل والتصدى بقسوة لمن يريد القيام به ؟ ألم يأتهم نبأ الدجال الذى ظن أنه وجد ضالته في قوله تعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ ، فأثنى بالميكروسكوب والسائل المنوى ليثبت بحركة الحيوانات المنوية كذب القرآن ؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، فنحن نعلم ما في هذا القول من زيف واعتراض . ولكن ، هل نحن واثقون أن كل المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ليسوا في حاجة إلى مواجهة أمثال هذا النموذج القديم من الاستخدام المتحرف للعلم في محاربة الإسلام ؟ ألا يحتاج الشباب المنفتح على

تيارات الفكر المختلفة إلى سلاح المواجهة ؟ أهناك ضرورة أكبر من ضرورة الدفاع عن العقيدة ؟

٤ - يمكن ان يضاف إلى هذه الضرورات ضرورة مستحدثة يفرضها التقدم المذهل في مختلف العلوم الكونية والطبيعية . يجب استنباط رأى الدين في ملكية واستغلال الفضاء ، وفي الممارسات الطبية المختلفة كالإخصاب خارج الرحم ونقل الأنسجة والأعضاء والهندسة الوراثية ، بل وفي امكانية انتاج نسخ متماثلة من الشخص الواحد ، كما تم في الضفادع والفئران .

ويجب أيضاً أخذ الرأى في موضوع الكيمياء التي تؤثر على سلوك الفرد ومشاعره ، إلى أى حد يمكن أن نستخدمها لتوجيه احساسه بالراحة أو النشوة أو التسليم ؟ هذه التواحي الهامة وغيرها ، التي أنجزها العلم أو اقترب من أنجزها ، ألا يصح أن ندرسها بمنظور إسلامى ، بدلاً من الوقوف مكتوفى الأيدي ، والكل من حولنا يسابق الريح في تقييم كل أوجه التقدم العلمى ، ومحاولة الاستفادة منها ؟ أن المؤتمرات تعقد باستمرار في كل بلدان العالم المتقدم لدراسة الآثار الاجتماعية للتقدم العلمى ويشارك فيها علماء الدين مع علماء الاجتماع والتربية والسياسة ، حيث يناقشون علماء الفضاء والحياة وغير ذلك من المعارف في تفاصيل ما أحرزوه من تقدم ، بل وفي مدى حريتهم في الاستمرار في البحوث محتملة الخطورة . أين المسلمون من كل هذا ؟

• منهاج الحل :

أرجو أن يكون العرض السابق قد نجح في توضيح أبعاد وأهمية ومدى تشعب مشكلة القرآن والعلم كأحد جوانب مشكلة أعم وأكبر ، أعنى مشكلة الدين والحياة ، وفي بيان انها باب كبير للاجتهد ، وان شئنا الدقة لوصفناها بانها باب كبير للجهاد ، وصدقوني ، ليس هنالك من هم أقدر من المسلمين المسلحين بكتاب الله المحفوظ على هذا الجهاد . والغاية المباشرة لهذا الجهاد ، هي أن نتبين أوجه الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، الذى يعد بالنسبة للمسلم الصادق الايمان قرة العين ، وشفاء النفس ، وربيع الحياة كلها .

وما دمنا نناقش موضوع الدلالات العلمية فى آيات القرآن فى ضوء المعارف الحديثة ، فلا بد وان نستنتج أن المشكلة تعد مشكلة تفسير بالدرجة الأولى . وكم أسعدنا ما سمعناه عن تشكيل اللجان ، وما نراه من مؤتمرات تبحث فى موضوع الاعجاز العلمى للقرآن ، بل اننا نطمع فى المزيد ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة المخلصة ما يلى :

١ - ان الشعب والتخصص باعد بيتنا وبين نماذج العلماء الموسوعيين ، الذين كانت تحقق لهم الفتيا فى أمور العلم والدين . لذلك يجب أن تكون هنالك فترة كافية لتبادل المعارف والآراء بين علماء الدين والمتخصصين فى مختلف العلوم الأخرى ، بدرجة تسمح بوضوح الرؤية لدى الفريقين ، وتسهل الوصول إلى فهم مشترك وأسس عامة ، لكيفية عرض المعارف العلمية الحديثة على آيات القرآن الكريم ، وليس العكس .

٢ - عندما أذكر أن المعارف الحديثة تعرض على آيات القرآن ، وليس العكس ، فاني أعني رفض المنطلق الخاطئ الذي يتبعه البعض عندما يتصورون صلاحية بعض المعطيات العلمية الجزئية ، القابلة للتصحيح والتعديل ، كبرهان على صحة كتاب الله . هذه سقطة كبيرة ، وان حسنت النية . وهي تكمن وراء رفض الكثيرين لمحاولات التفسير العلمى ، وان كنا نرى أن رفض طريقة خاطئة للمعالجة لا تستدعى رفض الاتجاه ككل .

٣ - بما أن المشكلة تفسيرية ، فلا بد وأن يكون لعلماء اللغة عموماً ، وللمتخصصين في التفسير خصوصاً ، دورهم البارز في الأنشطة السابقة .

٤ - يجب الاستفادة بكل ما هو جاد ومخلص في الاجتهادات السابقة ، قديمها وحديثها ، فهذه هي الأرضية الصلبة التي تبنى عليها آمال المستقبل .

لقد عمدت إلى ذكر النقاط السابقة ، التي لا أظن أنها قد غابت عن ذهن القارئ على أمر اللجان والندوات المعنية ، وذلك استكمالاً للموضوع ، وتأكيداً للأهمية . وما نؤمن به سلفاً ، هو أن القرآن لن يتعارض مع حقيقة علمية ثابتة ، لأن هذه الحقائق هي سنن الله في خلقه ، وهو نفسه - تبارك وتعالى - الذي أنزل القرآن على نبي الإسلام ، فكيف يمكن أن يوجد التعارض ؟ أما بالنسبة للنظريات العلمية العديدة ، فلنا أن نرفض ما يخالف صريح القرآن اما ما يوافق ظاهر القرآن فهو محتمل الصواب ، وأقول ظاهر القرآن لأن الله أدرى بمراده . هذا هو المنهج البسيط الذي نتصوره ، وفي هذا فليجتهد المجتهدون ، وما أكثر ما ينتظرون من خير .

ومن المنطقي أن يمتد أهتمامنا إلى كل ما يتعلق بالإسلام والعلم ، وفي هذا الصدد ، من المفيد أن نشير إلى أهمية المواضيع الآتية :-

١ - الدراسة المتأنية لأوجه التقدم العلمى الضخمة التى تعرضنا لها سابقاً ، والتى سيمتد تأثيرها ، لا ليشمل كل ما يحيط بالانسان فقط ، ولكن ليشمل خصائصه وقدراته . ان رأى الإسلام فى كل ذلك لا يتأتى ألا بمدرسة هذه الأمور بواسطة أهل العلم والدين معاً ، حتى لا يحدث الشطط الذى نشاهده عند تعرض أى الفريقين لموضوع يجب أن يدلى الفريق الآخر فيه بدلوه ، فتكون الصورة غير مكتملة ، وأحياناً غير مقبولة . . . ناهيك عن بهلوانيات الدخلاء والمرترقة ، الذين يجب أن تخلو هذه الساحة الجادة منهم تماماً .

٢ - العمل على أبرز المقدرة التنبؤية العظيمة للقرآن الكريم والتعاليم الإسلامية ، والتى لا يمتلكها الا العليم الخبير ويعطى قبسات منها لمن يشاء من عباده ، ونماذجها تمتد لتشمل مختلف العلوم الطبيعية والانسانية وغيرها .

٣ - الاهتمام بدراسة القرآن نفسه ككتاب معجز ، ولوضعه المتفرد باعتباره الكتاب الوحيد الذى أنزله الله تعالى وحفظه تماماً ، ووعد بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

حقيقة أننا نؤمن باستحالة كونه من صنع البشر ، لكن دراسة علمية لتوضيح ذلك قد تهدى من يفتح قلبه وعقله لنور الحق والايان ، وقد تثبت ايمان الكثيرين .

وكلنا نعلم محاولات الدراسة بالحاسب الآلى وكيف اهتمها الكثيرون

بالإغراض وعدم الدقة . ودون تطرق إلى التفاصيل نقول ان الباب لم يغلق ، ولا يجب أن يغلق أبداً . فكما أن القرآن الكريم لا تبلى جدته ، فان تناول اعجازه من زواياه المختلفة سيكون دائماً من الأمور المحببة لدى المؤمنين به .

• الهدف :

القرآن الكريم لا يعد مرجعاً علمياً ، كما يحلو للبعض أن يتندر عند ابداء رأيه في موضوع القرآن والعلم ، لكنه أكبر دعوة إلى العلم عرفتها البشرية خلال تاريخها الطويل ، لذلك فهو يمتلئ بالاشارات والتنبؤات ، لا النظريات والتفاصيل .

هذه الدعوة الربانية إلى العلم لا تضع قيداً أمام عقل الانسان ، بل بالعكس تعطيه المفاتيح ليفتح ما يقابله من أبواب مغلقة . فان أخطأ فله أجر ، وأن أصاب فله أجران . لذلك فاننى أرجو أن يكون الهدف من دراسة موضوع القرآن والعلم أبعد أثراً من مجرد محاولات اكتشاف بعض كنوز هذا الكتاب الكريم ، رغم ما فى ذلك من فائدة وخير كثير .

الهدف الذى أرجوه أن نصل إلى ما يمكن أن نسميه بنظرية « الإيمان العلمى » ، وذلك لمواجهة نظرية « الاتحاد العلمى » التى تشيع فى الغرب عموماً ، وفى الفكر الشيوعى بوجه خاص . هذه النظرية أثرت بشكل كبير على عقول المثقفين والعلماء فى الدول الغربية ، واختارتها الكتلة الشرقية (السابقة) كفلسفة للدولة . وهى بصورة أو بأخرى ، وراء لا أدريه الكثيرين حيث أبعدتهم عن الدين ، وشككتهم فيه . وأن لم تنجح فى جعلهم يرتعون فى

أحضانها . وأنتى بعد محاولة لدراسة ما فى الساحة من أفكار أقول ، وأشهد الله على ما أقول ، ان الفكر الإسلامى المتسلح بالقرآن الكريم ، والمستخدم بأمانة وإخلاص معطيات مختلف العلوم وتاريخها وفلسفتها ، قادر تماماً على صياغة نظرية للإيمان العلمى ، تدخل بالبشرية عصراً جديداً ، وتؤذن بميلاد حضارة جديدة ، لا يمكن لأى نموذج من نماذج الغد ، التى برع فى صياغتها علماء المستقبل ، الا أن يصفها بالاجابية والتقدم .

كم كنت أتمنى أن أختتم مقالى بهذا الأمل الوردى . ولكن دعنى أصح من الحلم قبل أن توقظنى ، وأسألك قبل أن تسألنى : هل يقدر المسلمون ، وهم على ما هم عليه اليوم من جمود وتطرف وانقسام ، على القيام بهذا الدور الحضارى العظيم ؟ أقول كما قال الإمام : لا تحتج بالمسلمين على الإسلام . الإسلام كمبدأ وعقيدة وكتاب . . . يستطيع ، ولكن أين رجال الإسلام ؟ لننظر ماذا فعل أمثالهم فى فجر الإسلام حتى نعلم أى خسارة حاقت بنا من الابتعاد عن روح هذا الدين الخفيف ، ودعوته الفاضلة إلى العلم والعمل . أرجو الله محالصاً أن يكون ما نراه من نشاط وصحوة ، هو بداية العودة إلى جادة الصواب . والله الموفق .

٢ - الإسلام والمستقبلية *

لا يخالجنى شك في ان الحديث عن الآفاق المستقبلية للإسلام ، يجب ان يتطرق إلى محاولة قراءة المشروع الإسلامى فى ضوء الدراسات المستقبلية الحديثة **، ومناهجها المتعارف عليها . كما لا يخفى على أحد ، ان بعض المعالجات تقلل من شأن العناصر المستقبلية فى هذا المشروع الحضارى . وهذا هو اخر ما نحتاجه اليوم ، حيث تتم اعادة بناء العالم وتحديد ملامح نظامه الجديد ، وحيث نرى بحق ان الإسلام يمكن ان يسهم بتقدير طيب فى رسم هذه الملامح والمعالج ، إذا ما أحسن أهله التعبير عن مضمونه وامكاناته « فكراً وفعلاً » وفكراً هذه تعد أضعف الإيمان !!!

والواقع ان الحديث عن الإسلام والمستقبل ، كثيراً ما يتطرق إلى الاعجاز القرآنى فى الكشف عن أحداث واكتشافات تاريخية أو علمية ، كانت فى علم

* كانت مصادفة سعيدة أن يوافق نشر هذا المقال بالأهرام يوم ٤/٥/ ١٩٩٠ ، إفتتاح مؤتمر يتعلق بنفس الموضوع عقد بالجزائر .

** إذا كان البعض لا يعترف بوجود « علم » للمستقبل ، فليس هنالك خلاف فى كون الدراسات المستقبلية الجادة تلتزم بمنهج العلم وأدواته .

الغيب لحظة ان نزل بها الوحي . ويشيع استخدام نفس المنهج مع أحاديث الرسول ﷺ . ويتطرق الحديث عن مستقبل الإسلام إلى كفاءة الحلول التي يقدمها للمشاكل التي تواجه البشر ، مسلمين وغير مسلمين . وأخيراً ، يركز البعض على ان الإسلام يضمن للمرء المستقبل الحقيقي في الآخرة ، مع التهوين الواضح من شأن الدنيا . ورغم « الصدق الكامل » لكل هذه المقولات ، مع التحفظ على بعض ما يقدم من معالجات وشروح لتوضيحها ، الا انها لا تنفى الأسلام حقه بالنسبة للأبعاد المستقبلية لمشروعه الحضارى ، الذى يمكن بمرونته وديناميكيته ان يقدم الكثير لعلوم ودراسات المستقبل كما يعرفها عالم اليوم ، وان يستفيد أيضاً من انجازاتها ، التى توافقه دون تعنت فى القياس والمقابلة ، ودون ان نحمل التاريخ أو النصوص ما لا يحتمل فالمستقبلية لم « تشرق من الغرب » فقط ، كما يرى بعض المستشرقين والمستغربين .

● وقبل ان نحاول فى هذا المقال ان نقدم بداية موجزة ومتواضعة لعصف عقلى brain storming لموضوع « الإسلام والمستقبلية » ، نود ان نوضح غياب القدر الكافى من المضمون المستقبلى فى أغلب معالجات وشروح المقولات السابقة ، رغم اننا نكرر تسليمنا بصحتها . ان العلم الكلى لله تبارك وتعالى ، الذى يحيط بالماضى والحاضر والمستقبل ، والذى يمد به رسوله الكريم بحيث لا ينطق عن أهوى ، يمكن ان يثبت عقيدة المؤمنين ، وان يهدى آخرين - فمن منا ينكر شمولية ومستقبلية العلم الاهى ؟ لكن الحديث هنا عن مستقبلية المشروع الحضارى « البشرى » الذى يقوم على هذه العقيدة

الصحيحة . أما الحديث عن كفاءة الحلول الإسلامية للمشكلات الآتية ، فتأتى أهميته من انه لا مستقبل لمن لا يستطيع الخروج من مأزق الحاضر ، ولكن يبقى الحديث عن المستقبلية غير كاف أو واف . ثم نأتى إلى أكثر » المقولات الصادقة « تعرضاً للمعالجات الخاطئة التى تدفع بالإسلام والمسلمين خارج « معادلة العصر » ، ونعنى بها التهوين من شأن الدنيا . أن بعضنا يغمز غيره بأنه « دنيوى » ، والباقى مفهوم طبعاً فى التهوين أن الدنيا دنية ، كما انها « شرك الردى وقرارة الأكدار » . لكنه لا يوضح ، أى دنيا يتصف بها هذا « الدنيوى المذموم » ؟ هل هى التى يبشر بها كتاب الله ، وتدعو اليها سنة رسوله ، ويوضحها المشروع الحضارى لدينا الخفيف ؟ انها دنيا تستحق ان نطلبها ، وان « نعمل » جاهدين على اقامتها ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لما نرجوه فى الآخرة . أما أن نصوغ مشروعا الحضارى فى صيغة ماضوية تشبهاً بالسلف الصالح ، فلسفنا الصالح هو أول من ينكر علينا ذلك . لقد قدم كل منهم اجتهاده ، وقال خيارهم عمن سبقه ، ونقوله اليوم عنهم : هم رجال ونحن رجال .

● نعود بعد ذلك إلى مستقبلية المشروع البشرى ، الذى يكلف الإسلام اتباعه به ، لأن ما يطلبه منا من عمل دنيوى طيب ، سيكون السبيل الوحيد لتحديد مكاننا على خريطة المستقبل ، كما سيكون رصيدنا الأكيد فى الآخرة . ومن المناسب فى البداية ان نحدد المؤشرات ، التى يمكن ان تبنى عليها حكمنا بمدى مستقبلية مشروع ما . يمكننا ان نختار لذلك ثلاثة مؤشرات :

(١) إلى من يتوجه هذا المشروع بالخطاب ؟

(٢) المضمون المستقبلي للمنهج الذى يرسمه المشروع لتحقيق أهدافه .
ومدى اتساقه مع معطيات علوم ودراسات المستقبل المعاصرة .

(٣) الآفاق المستقبلية ، المنبئية على الواقع المعاصر لمن يقومون بتبنى هذا المشروع ، ومحاولة تحويل فكره إلى فعل .

واسمحوا لى - وأنا من عامة المسلمين - أن أحاول ذلك بالنسبة لمشروعنا الإسلامى ، وان اتطلع إلى محاولات غيرى من المهتمين بالدراسات المستقبلية :
- ان المشروع الإسلامى يتوجه بالخطاب إلى كل البشر فى كل زمان ومكان ، باعتباره « المشروع الخاتم » ، الذى أكمل به الله ديننا ، وهذه الرسالة التى اكتملت بها هداية الساء ، لا يمكن الا ان تكون مستقبلية بطبيعتها . ومن هنا تأتى مروية « صور المستقبل » التى تقدمها ، وثناء مضمونها القادر ، ليس فقط على مسابقة عجلة التاريخ ، بل وعلى توجيهه لو أحسن توظيف عناصره المستقبلية ، التى يوضحها منهجه .

- يفيض منهج المشروع الإسلامى بالاشارات المستقبلية المؤكدة . فبالاضافة إلى الاقرار بحقائق التغير المستمر فى المجتمعات البشرية ، التى توضحها لنا « أحسن القصص » بصورة تجعلنا نستفيد من دروس التاريخ ونحن نستشرف المستقبل ونوجهه ، نرى ان فتح الباب الواسع للاجتهاد يقدم العديد من « السيناريوهات » السمحة للصراط المستقيم ، بها يسمح لنا بالاختيار من بين « المستقبلات البديلة » لأن الأصل فى كل الأمور أنها حلال ، ما لم ينص على

العكس ، وهو محدد ساحته ضئيلة بالمقارنة بمساحة الحلال شديدة الرحابة ، ولا يكتفى بذلك ، بل يوضح لنا بالاضافة إلى « سيناريوهات السلامة » ، سيناريوهات الطريق المعوج ، وسمها ان شئت سيناريوهات الندامة . ولأهمية الاجتهاد فقد ادخر الله أجراً لمن اجتهد واخطأ ، وضاعفه للمصيب ، فأى دعوة لصنع المستقبل تفوق ذلك ؟ أما سيناريوهات السلامة ، فتنبئ على أكبر دعوة عرفتها البشرية للعلم والعمل ، والعلم هنا يأتي بمعناه الشامل ، الذى تحاول البشرية اليوم ان تبحث له عن النظريات الموحدة . وتطالبنا المستقبلية الإسلامية بكل ما هو وارد فى مستقبلية اليوم : التعقل قبل التوكل - الشورى - سؤال أهل الذكر والالتجاء إلى أهل الحل والعقد (ألا يبهتنا ذلك ونحن نعود إلى الدراسات المستقبلية فنجد المقابلات الحديثة ؟ أم يجب أن يم ذلك تحت إسم « دلفى » ؟ ليكون أكثر علمية ؟) . كما يتبنى المشروع الإسلامى قبولاً واضحاً بالتعددية ، فالله قد خلقنا شعوباً وقبائل ، وكان قادراً على ان يوحد أفكارنا وعقائدنا ، وطالبنا ان نساوى فيما بيننا ، حيث لا يفضل أحدنا الآخر الا بالتقوى . وحديث المنهج يطول ، وكله مستقبل . . . مستقبل . ولنختتمه بحمى « التخصيص » ، التى يدعو إليها الجميع ويحاولون كبح جماح تحولها إلى الاحتكار ، ألم يشجع الإسلام الملكية الخاصة ، التى يحسن توظيفها الاجتماعى ، ويرفض الاحتكار ، سواء مارسه الأفراد أو الحكومات أو الشركات عابرة القارات ؟ !!!

- ويمكن بالنسبة للآفاق المبنية على الواقع المعاصر ، أن نذكر الانتشار الديموجرافى الكبير (مثل المسلمون ١٨٪ من سكان العالم عام ١٩٨٠ ،

وسيمثلون ٣١٪ عام ٢٠٢٥ و ٤٣٪ عام ٢٠٢٥ ، حيث سيصبح الإسلام طبقاً لهذه التقديرات أهم تيار ديني في العالم) . وبالإضافة إلى الطاقة البشرية فان الموارد والثروات الطبيعية ، ومواقع الانتشار الجغرافي المركزية والمتشرة خارج الحدود الجيوبوليتيكية للعالم الإسلامي ، في أوروبا وأمريكا وغيرها ، تسمح لأبناء هذا المشروع الحضاري بالمشاركة الجادة في صنع مستقبل العالم ، والالتحام بكل البشر دون خوف من العزلة أو الذوبان . ختاماً ، لقد سبق ان قدمت لكم « هويتي » ، بأننى من عامة المسلمين . ورغم اننى عند كلمتى تماماً ، الا اننى أود لو اعتبرتمونى « مسلماً مستقبلياً ، ذلك ان الايمان بأن « المستقبل للإسلام » ، لن يتأتى الا إذا تعلم المسلمون كيف يكونون مستقبليين !!!

فصل المقال في التجافي والوصال ؟!!!

من يريد أن يلتحم بقضايا مجتمعه ويشارك في صياغة مستقبله ، بل وفي بناء أجياله المقبلة إذا كان معلماً ومشتغلاً بالعلم ، لا بد له وأن يكون صاحب موقف واضح تجاه القوى المحركة والمحفزة لطاقت هذا المجتمع . ولأن مجتمعنا متدين بطبيعته وغير رافض للعلم بثقافته ، فمن الضروري أن نفيد بالطاقة الإيجابية (الخلاقة والأخلاقية) للتدين ، وأن نحول عدم الرفض بالنسبة للعلم إلى قبول وحاسة وإيمان . ومن هنا تأتي أهمية التعرض لموضوع العلاقة بين الدين والعلم في هذا الكتاب . وعموماً ، فالعلاقة المذكورة مثارة الآن - ولو لأسباب مختلفة - في غالبية المجتمعات الأخرى . لكنني أعتقد أن « المثقف العضوي » الفاعل في المجتمعات الغربية المتقدمة مثلاً ، قد يستطيع القيام بدوره باطمئنان دون ضرورة إتخاذ موقف محدد من هذه العلاقة ، بدرجة أزيد بكثير عما يستطيعه مثيله في مجتمعاتنا . والسبب بسيط : إننا نحتاج أن نحرك الموقف من العلم ، مستخدمين كل عناصر الماضي والحاضر والمستقبل ، التي تظهر مشروعية هذا التحريك وضرورته . أما في الغرب ، فالموقف متحرك فعلاً ، لدرجة جعلت القضية تدخل في نطاق التوجيه والتخوف من شدة الحركة ، وهي كما نرى مسألة

تختلف كثيراً عن البحث عن قوى الدفع والتحريك . والخلاصة ، أن مجتمعنا - بكل ملاحظه فينا وملاحظنا فيه - يحتاج إلى إيمان بالعلم نابع من الإيمان بأن الدين يدعو للعلم دون الاكتفاء بإثبات عدم التناقض معه .

● وللهولة الأولى ، قد يبدو هذا الأمر سهلاً ، وقد تبدو هذه السهولة المتخيلة مبررة ، فالإسلام يتضمن أكبر دعوة عرفتها البشرية للعلم - هذه حقيقة لا أمل من تكرارها . وحاجة المسلمين اليوم إلى الأخذ بأسباب العلم ، بعد طول غياب عن ساحته ، لا تحتاج إلى دليل . وحيثما يوجد صالح المسلمين ، فثمة شرع الله . إذن ، فالإيمان بالعلم يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من إيمان المسلم المعاصر . لكن التفاعلات المجتمعية المعقدة لا تأبه كثيراً بهذا التسلسل المنطقي ، فكثيراً ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن . لقد صاحب التخلف العلمي تخلف في الموقف الثقافي من العلم ، حتى تضاعف الطلب المجتمعي عليه بشكل حقيقي ، بصرف النظر عن شيوع « الحديث البيغاني » عنه بمناسبة وبلا مناسبة . هذا في الوقت الذي صار التقدم العلمي فيه ، المقياس الأول للقوة والمنعة ، والقدرة على التطوير والتغيير . وكانت المحصلة الطبيعية لذلك ظهور المواقف المتطرفة في التعبير عن الإيمان بالعلم أو رفضه ، على حد سواء ، غذى الإتجاه الأول ، البريق الكبير الذي اكتسبته النزعة المادية ، وغذى الإتجاه الثاني « بعض » الإتجاهات السلفية والصوفية . وأثرت كل أشكال التطرف سلباً على العلاقة السوية بين الدين والعلم . ألم أقل لكم أن الأمر ليس بهذه البساطة ؟ ومع ذلك ، فثقافتى الشعبية تدفعني إلى تكرار مثل أو من به تماماً : كل عقدة ولها حلّال !!! والحل هنا يجب أن يكون ثقافياً

/ عملياً : بالتصحيح الفكرى للعلاقة بين الدين والعلم على المستوى الثقافى ،
وبدفع آليات الإنجاز العلمى المرتبط بحاجات المجتمع على المستوى العلمى ،
بحيث يتواكب تصحيح المفاهيم ، مع الحفز العلمى للمطلب المجتمعى للعلم .
ولقد تحدثنا فى الباب الثالث عن المستوى العلمى الخاص بمحاولة العودة إلى
العطاء الجاد ، وحديثنا هنا عن المستوى الثقافى .

● والواقع أن الجهود الرامية إلى إتخاذ الموقف الثقافى السليم ، بالنسبة
للعلاقة بين العلم والدين ، تتعرض للمراجعة بشكل عام ، لأسباب سيأتى
ذكرها . ومن منطلق قناعتى بأن المرء عليه أن يبدأ بنفسه أولاً ، أقرر أننى أود
مراجعة ما جاء فى مقالى عن القرآن والعلم - مراجعة لا تراجع ، فالمراجعة
موقف موضوعى يتسم بالعلمية والرغبة فى التطوير والتصحيح . أما التراجع
فموقف سلبى ، لا يحتمل الإستمرار ، وإن كان مطلوباً فى بعض الأحيان
بدلاً من الإستمرار فى الخطأ . إن مراجعتى تنبع أساساً من أننى لم أعد مقتنعاً
بما دعوت إليه منذ أكثر من عشرة سنوات ، بالنسبة للبحث عن نظرية «
للإيمان العلمى » تواجه نظرية « الإلحاد العلمى » . إننى أدرك الآن جيداً ،
وبدرجة تجعلنى أتعجب من عدم إدراك ذلك فى حينه ، أن عنصر الخطأ فى
النظريتين واحداً ، رغم اختلاف الهدف . هذا العنصر يتلخص فى محاولة
إستخدام « المنهج العلمى » خارج الحدود الموهل للعمل فى إطارها . إن العلم
يتقدم بالتصحيح والمراجعة ، ويقبل - كما ذكرنا - الإحتالية وعدم التيقن ، ولا
يمكن أن « نُنظر » للإيمان بمنهجه . حقيقة أن الإيمان يزيد وينقص ، لكن
ذلك يتم بناء على مدى إلزام المرء بالمنهج الدينى . إنها منهجان متكامل بهما

حياة الإنسان ، ولا مشكلة في الجمع بينهما عند أنباع كتاب تزيد فيه آيات الدعوة إلى العلم على آيات العبادات ، ودين يعتبر طلب العلم نفسه عبادة .

● ننتقل من هذه المراجعة الذاتية إلى ما يذكر عن أسباب المراجعة العامة ، التي يدور الحوار حولها الآن ، وهي ثلاثة أسباب نوجزها فيما يلي * :

أولاً : الآثار المجتمعية والأخلاقية الهائلة - المتحققة والمتوقعة - الناجمة عن تطبيق التقنيات الحديثة للهندسة الوراثية ونقل الأنسجة والأعضاء ، وكذلك ما سمي بثورة التكاثر . لقد تعرضت لهذه النقطة بوضوح في مقالتي القديم ، وما زالت موضع حوار ساخن . ولعل الهندسة الوراثية بالذات ، بما تحدثه من « تطور إصطناعي » artificial evolution نتيجة نقل الجينات بين كائنات شديدة الاختلاف والتباعد ، قد أثرت بالسلب على الجدال التقليدي القديم ، الذي كان يثيره أعداء « نظرية التطور » ممن يسمون أنفسهم بالخلقويين creationists للتخفي تحت ستار الدين . هذا الجدال قد إزدهر في أمريكا بالذات في عقد الثمانينات ، ووصل إلى المحاكم عندما تعرض لمسألة تدريس هذه النظرية في المدارس ، لكن المحكمة العليا إنتصرت للمبدأ الذي إستقر عليه نظام التعليم الأمريكي ، بابعاد الخلافات الدينية والطائفية عن التدخل في المناهج الدراسية . إن نظرية التطور تراجع نفسها و « تتطور » باستخدام المنهج العلمي . ومن الهزل أن نكرس جهودنا لمهاجمة نظرية تحاول تفسير تاريخ الكائنات الحية على الأرض عن طريق التطور الطبيعي . بينما إستطاع

* أعذر عن هذا الإيجاز الشديد ، الذي أرجو تعويضه بذكر العديد من المراجع ، لمن يريد الاستزادة .

الإنسان فعلاً أن يحدث أشكالاً من التطور الاصطناعي في معاملته . . . أليس من الأجدى أن نناقش الدستور الأخلاقي والتوظيف المجتمعي لهذا الإنجاز ، من كافة النواحي ، بما في ذلك الناحية الدينية ؟

ثانياً - ظهر في السنوات الأخيرة إنحياز يقول بأن العلم قد تطور بالصورة التي جعلته يقترب من تناول الأسئلة ، التي كانت تعالج قديماً في نطاق الدين . مثل هذا الحديث يكثر مقترناً بالفيزياء والفلك بالذات ، وإن كان يمتد إلى البيولوجيا والبيولوجيا الجزيئية . إن اكتشاف التباين الحراري في خلفية الكون ، بأجهزة تلتقط صورها من مواقع تمكننا من الإقتراب من تصور « البداية » ، وما أدى إليه هذا الإكتشاف من تأييد إضافي لنظرية الانفجار الكبير ، يصب في هذا الإنحياز الحديث . كذلك ، فإن التقدم الكبير في فهم سلوك المكونات الدقيقة في الذرات ، وعلاقتها ببعضها قاد إلى الحديث عن التصميم والغائية في « هندسة الكون » ، بل وعن كون ظهور الحياة نفسها كان مكتوباً في شفرة الكون . لقد حاولت بعض التحليلات الفكرية ، المعتمدة على ميكانيكا الكم ، أن تربط بين الفيزيكا والميتافيزيكا ، وبين العلم والروح . وقدم مبدأ عدم اليقين uncertainty principle ، المكتشف في العشرينات ، والذي ينص على عدم إمكانية القياس الدقيق لكل من موضع وسرعة الجسيمات الصغيرة (كالإلكترونات والفوتونات) معاً في نفس الوقت ، العديد من الإضافات إلى الحوار بين العلم والدين . لقد ساعد على التخلص من التصور الميكانيكي والحتمية في الفيزياء الحديثة ، وأرسى مبدأ التكاملية بين مكونات النظام ، رغم عدم إمكانية الجمع بين قياساتها الدقيقة في نفس الوقت ، بالإضافة إلى

إحتمال إنتقال علاقات التكامل من مستوى إلى آخر بشكل متشابك ،
يتناسب مع تعقد الظواهر المدروسة (كالعلاقة بين أصل الإنسان وطبيعته
مثلاً) . وهذا يقودنا إلى ما يثار الآن عن النتائج المتحصل عليها بالنسبة لميل
النظم الفيزيائية إلى الإنتظام self assembly والتشابك complexity ، مما دفع
البعض إلى الحديث عن قانون فيزيائى أساسى يتظر الكشف عنه .
وكالعادة ، يتطرف البعض مؤكداً أن العلم قد صار الطريقة الأكثر يقينية إلى
الخالق . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول ، أن « الدين الحق » ما هو إلا رسالة من
الخالق إلينا ، وليست هنالك طريقة لمعرفة إلا فهمها وإتباعها .

ثالثاً - يربط البعض بين إنتشار الأصولية Fundamentalism ، وسقوط
الكتلة السياسية التى كانت تتبنى الفلسفة المادية « رسمياً » ، وليس فقط على
مستوى الحرية الفكرية للأفراد والجماعات ، وبين « تحديث الحديث » عن
العلاقة بين الدين والعلم . ويهمنى هنا ما يقال عن الأصولية الإسلامية ،
والإتجاهات المطروحة فى إطارها لأسلمة المعرفة وأسلمة العلوم بالذات . لقد
كان من ضمن بدايات هذا الإتجاه البحث عن الإعجاز العلمى فى القرآن
الكريم والسنة الشريفة ، وهو الأمر الذى دعوت فى مقالى القديم - وما زلت
أدعو بشدة - إلى أن نضع له الضوابط الكافية ، حتى لا يتحول لدى البعض
إلى بديل لتحصيل « العلم النافع » ، الذى هو دعوة القرآن الكبرى . وأظن أن
غالبية المشاركين فى هذه الأعمال يوافقوننى على ذلك . كما أرجو أن يزداد
الإهتمام « بتاريخ العلوم » عند العرب والمسلمين ، لأنه جزء أصيل من
« كرامتنا الحضارية » ، وتأكيد على أن ثقافتنا منتجة أصيلة للعلم ، رغم أن

أبناءها اليوم صاروا في وضع المستهلكين (بكسر اللام مرة ، وفتحها مرة أخرى !!!) .

أما أسلمة المعرفة والعلوم ، فقد مثلتا توسعاً مؤسساتياً ، أنشئت من أجله المراكز وصدرت المطبوعات . ولا أنوى في هذه العجالة أن أقدم تقييماً أو تقويماً لهما ، ولكنني أعبر عن رأي الكثيرين إذا ما طالبت الداعين لهما بالمزيد من ضبط المصطلح وتفصيل المنهج ، بالنسبة للعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية على حد سواء . وإذا أكرر أنني لا أقدم حكماً على هذين الإتجاهين الحديثين نسبياً ، إلا إنني أؤكد أن الدعوة إلى مراجعة عربية إسلامية للعلوم الإنسانية ، حتى لا نظل ندور في إطار المصطلح والمنهج الغربي وحده ، قديمة ومبررة « ثقافياً » إلى حد كبير . كما أن الدعوة إلى أن يكون توظيف منجزات العلوم الطبيعية في إطار النظام القيمي والأخلاقي لثقافتنا ، المستندة إلى رسالة الإسلام ، معروفة ومفهومة ضمناً من دساتير الكثير من الدول الإسلامية .

● والآن ، بعد إستعراض دواعي مراجعة العلاقة بين الدين والعلم ، أود أن أعرض التصور الآتي للموقف الحالي بالنسبة للعلاقة المذكورة ، وهو تصور مفتوح للإضافة ومنفتح للمراجعة في كل وقت . ويركز في أغلبه على الأمة العربية والعالم الإسلامي بشكل خاص . يتلخص هذا التصور في النقاط التالية :

- على مستوى الجدل الفلسفي ، قلت مساحة التجافي بين العلم والدين ،

لإستيعاب الإختلاف المنهجى ، ولرسوخ الإقتناع بحرية الإعتقاد بين المشتغلين بالعلم . ويرى البعض أيضاً أن تهاوى النظم ، التى قامت على « الإلحاد العلمى » ، يسهم فى إنحسار هذه المساحة . حقيقة أن نسبة كبيرة من العلماء فى الغرب تؤمن بنظام قيمى ، مستمد من نزعة إنسانية ليست دينية بالضرورة ، ومنهم من توصف علاقته بالأسئلة الكبرى فى الكون ، بأنها فى إطار « ما وراء المادية beyond materialism » إلا أن أغلبهم يكرّ احتراماً عميقاً للعقائد الأخرى . ولا ننسى أن من كبار العلماء فى مختلف المجالات من له عقيدة دينية قوية . وكثيراً ما يشترك فى الإقتناع بنظرية معينة (كنظرية التطور مثلاً) علماء مؤمنون ولا أدريون agnostics ، ويساق ذلك للتدليل على عدم التعارض بين العقيدة الدينية والقناعات العلمية . إلا أن هذه الأمثلة ، وإن كانت تدل على تهميش وإستبعاد نموذج النزاع conflict model ، إلا إنها لا تؤدى إلا إلى نموذج انفصال separation model ، يعتمد على فصل القنوات - بصورة أو بأخرى - بين العلم والدين .

- أظن أن حاجتنا الملحة للتقدم العلمى تدفعنا إلى إستلهاهم ثقافتنا العربية الإسلامية ، فى تقديم نموذج تفاعل interactive model ، يعتمد فيه الوصال بين الدين والعلم على دعوة الإسلام الصريحة لطلب العلم بكل فروعهِ وأشكالهِ ، والمكانة العالية التى يخصصها طالبيه كلهم . لذلك أتمنى ألا نعرض هذا النموذج للخلافات الضيقة ، وللمصالح الأكثر ضيقاً ، التى تفرق ولا تجمع ، وت عزلنا عن العصر ولا تصلنا به .

- ومع حاجتنا للتعاون مع « الآخر » المتقدم علمياً ، لتحصيل ما يلزمنا من

المعارف والعلوم الحديثة ، علينا أن نقدم له بشكل غير تصادمي مفهوم « العلم النافع » الذي تعرفه عقيدتنا . على أن يتم ذلك بعيداً عن قرع طبول « المواجهة » القربية بين الإسلام والغرب ، التي صارت جزءاً من « البرنس » الخاص ببعض عندنا وعندهم .

- إن استشراف مستقبل العلاقة بين الدين والعلم ، يؤكد أنه لا مكان للغلو بكل أشكاله المتطرفة ، لأنه يؤدي إلى عدم توازن العلاقة المذكورة ويعرضها للخطر . إن من يغلو بالقول بأن العلم قد صار الطريق الأكثر يقينية إلى الله ، إنما يتخذ العلم ديناً له . ولقد رصدنا في موضع سابق هذا الاتجاه الغربي ورفضناه . ولكن ، على الجانب الآخر ، يجب أن نعتز أن المغالاة في البحث عن الإعجاز العلمي في القرآن ، لا يصح أن تكون بديلاً عن تحصيل العلوم . لقد طالبت منذ سنوات بوضع الضوابط لذلك ، وأرجو ألا يكون الإهتمام بتنظيم الأعمال الخاصة بالإعجاز العلمي والأسلمة والإنفاق عليها ، على حساب الجهد الكبير المطلوب لتجسير فجوة التخلف العلمي ، التي نعاني منها .

- علينا أن ندرس إلى أى مدى كانت لحظات التقدم والازدهار العلمي في تاريخنا ، مرتبطة بالتعبير السليم عن النموذج التفاعلي للعلاقة بين العلم والدين . وهذه النقطة ترتبط بالطبع بما طالبت به في موضع سابق من إهتمام بدراسة تاريخ العلوم ، وتصحيح الوضع الخاص بانجازاتنا فيه .

- إذا كان طلب العلم فريضة ، فلم يشرع الله فريضة إلا لخير البشر .

لذلك ، علينا أن ندرك ما يحلبه التقدم العلمى من عزة ومَنعة للمسلمين ، حتى نجعله على قائمة إهتماماتنا فى التسعينات . ومن أجل هذا الهدف ، علينا ألا نضع القيود الوهمية أمام الإبداع فى كل المجالات العلمية ، بل من الواجب أن توفر الإمكانيات والتسهيلات لذلك .

- وآخر ما أود أن أوردته بالنسبة للعلاقة بين الدين والعلم ، الإهتمام بالبعد المستقبلى للمشروع الإسلامى العام . وهو ما فصلته فى المقال الثانى من هذا الفصل ، عند الحديث عن علاقة الإسلام « بالدراسات المستقبلية » . علينا أن نوضح أن هذا المشروع ، الذى جاء لكل البشر ، قادر بطبيعته على التعايش السلمى مع كل البشر ؛ مسلمين وغير مسلمين . وقادر أيضاً ، وبشكل يثير الفخر ، على إستيعاب كل المنجزات العلمية والمعارف الحديثة ، مع مذهبها بالإطار الأخلاقى ، الذى يصنع منها « علماً نافعاً » ، كما ذكرنا من قبل .

والخلاصة ، التى أود أن أنهى بها المقال ، هى أن رسالة السَّاء لهذه الأمة « تشریف » ، ودعوتها إلى العلم « تكليف » . . . لذا ، فلا مكان بينها للتجافى ، ولكن للوصال والاتصال !!!